إلى كل لبنان صميم

أن يكون الإنسان لبنانياً هو عمل اختيار. ليس هوية يفرضها عليك اهلك أو الآخرون. انه التزام أيضاً. الاستغراق في التاريخ تعبير عن ضياع في الحاضر، عن فقدان الوجود الحق. أنت لا تتسربل حلة القديسين والاولياء الا إذا ساهمت في قداستهم. ما عدا ذلك تسميات ليس لك من مضمونها شيء. لا شيء من الماضي ينتقل إليك ما لم تفعّل وجوده وعظمته فيك.

يذهلني الفصام الذي يعيشه كبار عندنا قبل الصغار بين انتماء بين هوية وهوية. يعيشون في ثنائية بل في «ثلاثية» أو «رباعية» غريبة عجيبة. وينعكس هذا الواقع المَرَضي حتى في شاهقات الاهتمامات «الاكاديمية» و«الروحية»، يرمون قناعاً ويلبسون قناعاً بحسب الأحوال والمناسبات. ان يكون الكيان اللبناني هو هو غير منعوت بسواه وغير محدود بظرف ما، قلّما يخطر على بال ملوك الطوائف ومَن إليهم في هذه الشرذمة التي إسمها لبنان.

ثمة انسباء لي يحملون الجنسية اللبنانية إلى جانب جنسية أخرى. منهم فرنسيون وآخرون أميركيون والبعض قيد أن يُمنحوا جنسية أجنبية بريطانية.. كثر هم المتأهّبون لكل تضحية لنيلهم جواز سفر أجنبياً، ولو لكي يتمكنوا من الرحيل والسفر من غير ان يتحمّلوا مشقة الحصول على تأشيرات ومباراة تجميع الوثائق ونزوات القنصليات. وتتجلّى ازدواجية الانتماء بمثابة عوّامة لإنقاذ غرقى سفينة يساهم، كل من موقعه، في إغراقها، إنْ لم يكن بنشاط ما فاقلّه بخموله وإهماله و«معليشيته» المتراخية.

بين حروب من هنا وانتفاضات من هناك ونداءات من عرض البحر أو من صحارٍ تتبدّل معالمها او تتطوّر بمعنى ما، تنأى فلذات اكبادنا بانفسها عن ربوعنا إلى موانئ أو محطات اوفر اعتدالاً أو مؤاتية أكثر لهذا المواطن أو ذاك ممن أضنى والداه أنفسهم في سبيل تلقينه العلوم أو التقنيات، إلى حد الانتماء إلى الوطن اللبناني أوشك ان يغدو انتماء إلى مكان آخر.

فلنبحث في مضمون الكيانية اللبنانية أولاً، أي في ما ارتضيناه إطاراً لحياتنا الراهنة قبل ان يغلق التاريخ الله الآتي الينا!

د. جهاد نعمان